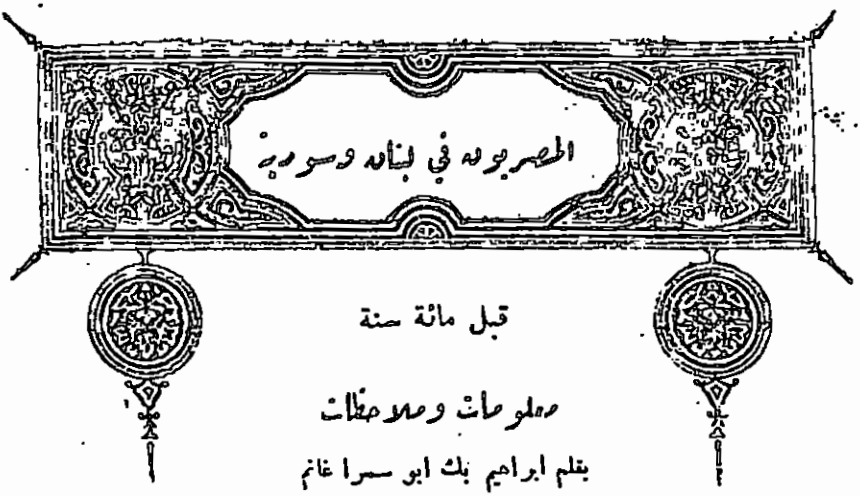

قبل مائة سنة

معلومات وملاحظات

بقلم ابراهيم بك ابو سمرا غانم

٣ (تتمة)

ثورة اللبنانيين (تابع)

لقد انتظر الثائرون على غير جدوى رجوع الامير امين اليهم حاملاً البشرى باجابة رغائبهم . ولكن من اين للامير امين ولابيه الامير بشير ان يحققا طلبات اللبنانيين وقد تجافى ابرهيم باشا عن قبول رأيها مهما كان سديداً . فقد حينئذٍ زعماء الثورة اجتماعاً تداولوا فيه في ما يصلح عملهم فقر رأيهم على قطع الطرق على العساكر المصرية منعاً لها من دخول الجبل . فاختاروا توجيه الامير محمود سلمان الشهابي الى جهة صيدا ، والامير علي منصور اللمعي الى جهة البقاع ، والامير فارس والامير يوسف الشهابيين الى جهة الخازمية ، وابي سمرا الى جهة طرابلس .

واليكم ملخص تلك الحوادث كما وصفها الشيخ طنوس الشدياق في كتابه « اخبار الاعيان في جبل لبنان » :

وفي اليوم الثالث بعد اجتماع رأيهم على قطع الطرق عن العساكر المصرية ، توجه الامير محمود الى جهة صيدا ومعه احمد داغر وبعض انفار . وتوجه الامير علي منصور الى المتن ليجمع رجالاً من هنالك ويسير بهم الى البقاع . وتوجه ابو سمرا الى جهة طرابلس بمائة نفر ابقاهم محافظين في انطلياس ونهر الكلب وجونية . ولما وصل الى غزير تبعه من المشايخ الحبيشية يوسف حمزة وبطرس وحنا ابنا واكد . ثم نهض الى الفتوح بانفار ، فتبعه من المشايخ الدحادحة زعيتر

راشد وجماعته . ثم نهض الى جرد كسروان فنفرا اربعة افراس من خيل الامير عبد الله . ثم نهض الى جبة المنيطرة فتبعه المشايخ الحلادية بمائتي نفر من جماعتهم المتاولة ، فانحدر بهم الى جبيل وجمع رجالًا من تلك البلاد ووضع انفارًا في جبيل . ثم نهض الى البترون فلحقه من المشايخ الخوازنة شمس صفا وعساف البدوي ، ومن المشايخ بني صالح خطار قيس ، ومن المشايخ الدحادحة خطار حنا . فوضع في البترون انفارًا ونهض الى اميون ثم الى جبة بشري فارسل اولئك المشايخ الى زغرتا.

ولما بلغ والي طرابلس قدومه ارسل اليه اربعة آلاف عسكري نظامي بمدافع . فالتقاهم وانتشب الحرب بين الفريقين فانكسر ابو سمرا الى ايمال ، وقتل من جماعته سبعة انفار ومن العسكر المصري نحو عشرين نفرًا . وعاد العسكر الى طرابلس . وفي اليوم الثالث قصده عسكر طرابلس الى ايمال فالتقاهم بمن معه ، فشنّ الغارة عليهم فانكسروا الى طرابلس ، فاعمل اللبنانيون في اقفيتهم السلاح (وظلوا يطاردونهم حتى دخلوا بوابة التبانه) واخذوا منهم مدفعاً بعد ان قتلوا منهم خمسين نفرًا وقتل من اللبنانيين نحو عشرين.

ثم سار ابو سمرا الى الضنية فاستقبله المشايخ بنو رعد . وفي الحال جمعوا رجالهم ونهضوا على متسلم الدولة المصرية وقتلوه ، واستلموا مقاطعتهم . فبلغ والي طرابلس ذلك ، فارسل عسكرًا لمحاربتهم ، فالتقوه الى قرية سجفه وانتشب الحرب بينهم فانكسر العسكر المصري الى قرية سرياطا وقتل منهم جماعة . ومن الغد رجع اليهم العسكر المذكور ، فانكسروا وتبددوا وقتل منهم ثلاثون نفرًا وأسر عشرة رجال . ثم توجه ابو سمرا بالمتاولة الى وادي موسى ، وهناك اجتمع اليه نحو مائة وخمسين نفرًا . وقصد متسلم عكار وقتله ونهبه واخذ منه اربعة من خيله وحاصر جماعة من قرية الريحانية على شاطي البارد ثم انهزموا، فنهب ابو سمرا تلك القرية وانطلق الى جرد عكار . وانفضت جماعته عنه ثم توجه الى مزيارة فاختبأ . وفي تلك الاثناء ارسل متسلم بيروت باخرتين الى اسكلة جونية لالقاء الرعب في قلوب الكسروانيين وسلب ما فيها من النفائس ، ان امكن . فلما علم بذلك سكان كسروان اسرعوا الى جونيه ،

وصدوا المصريين عن اتمام ما قصدوا ، والجأوهم الى الرجوع فارغي الايدي الى المراكب وقد اطلق المصريون المدافع على الثائرين فلم يُصَب باذاها احد ، غير انها عطلت بعض القوارب ، وسلبوا سفينة كانت في البحر وعادوا الى بيروت .

وفي غضون ذلك قدم عثمان باشا المصري الى بطبك بثمانية آلاف جندي . فنهض رجال ثورة المتن مع الامير منصور ابو اللمع من المريجات الى السهل ، وجرت هنالك موقعة هائلة . فانكسر الامير بصكره لقلته ، وقتل من المتنين مائة وثمانية عشر رجلًا .

اما اللبنانيون الذين توجهوا الى نهر الاولي فقد حاربهم عباس باشا بجيش وافر العدد . وبعد معركة دامية تشتت اللبنانيون ، وعاد اهالي دير القمر الى بلدتهم . فصفح عنهم الامير بشير ، كيف لا وهم رجاله واخصاؤه واعوانه عند الملمات . فاخلدوا الى السكينة .

واما رجال ثورة سنّ الفيل فقد طاردهم الارناؤوط وهزموهم . ثم مشوا الى قتال رجال ثورة حمانا الذين كان يقودهم الامير خنجر الحرفوش ، فادركوهم تجاه المكلس . وبعد ان ناوشوهم برهة دحروهم وشتتوهم .

لا عجب اذا دحر المصريون اللبنانيين واخمدوا ثورتهم . واما العجب كل العجب ففي فوز آبائنا في بعض المعارك مع قلة ذات يدهم وعوزهم الى المال اللازم للقيام بمثل هذه الاعمال العظيمة ، وافتقارهم الى الذخائر والاسلحة وسائر الاعتدة الحربية .

وقد تاه زعماء الثورة في كل سبسب طالبين النجاة من غضب ابراهيم باشا والامير بشير . بيد ان بعضهم وقعوا في ايدي رجال السلطة فسيقوا الى عكا ومنها الى الاسكندرية فصر حيث اعتقلوا فيها ، ثم أبعدوا الى سنار في بلاد المغرب . وظلوا هناك الى ان خرجت الجنود المصرية من لبنان والبلاد السورية . وقد كان عدد المنفيين سبعة وخمسين رجلًا اذكر منهم الامير يوسف شهاب ، والامراء حيدر وعلي قايدبيه وعبدالله مراد وعلي فارس اللمعيين ، والمشايخ حمود وقاسم وعباس ناصيف النكديين ، ونقولا وبشاره وولده حصن وروفائيل الخازنيين ، ويوسف الشتيري وصليبي يزبك من بكفيا .

وفرّ الشيخ فرنسيس ابي نادر الخازن الى قبرص ، وفرّ اليها ايضاً الامير اسماعيل ابي اللمع . اما ابو سمرا فبعد ان اختبأ مدة في مزياره غادرها الى دير القديس انطونيوس قزحيا حيث بقي محاطاً بتكريم الرهبان وعنايتهم الى ان طلبه قائد الجيش العثماني الى جونيه كما سيجيء تفصيله .

احتلال عساكر الدولة العثمانية مع عساكر الدول المتحالفة سواحل لبنان ، واستئناف الثورة

بعد أن ظفر ابراهيم باشا بالجيش العثماني في موقعة نزيب ، اضطربت دول اوربة وخشيت من تقدم المصريين الى الاستانة فيختل بذلك التوازن الاوربي . فعقدت انكلترة وروسية والنمسة وبروسية في مدينة لندرة ، في الخامس عشر من شهر تموز سنة ١٨٤٠ ، مؤتمرًا قررت فيه مناصرة الدولة العثمانية على الحكومة المصرية ، واغتصاب ثمرة فتوحاتها وارغام محمد علي على الطاعة للسلطان . لانه لم يكن من مصلحة هذه الدول تعزيز حكومة من وراء نجاحها نجاح دولة فرنسة التي كانت تعضدها بالمال ، وتبعث اليها بالماهرين من رجالها ذوي الاختصاص لادارة شؤونها العسكرية والمالية والزراعية والعلمية والصحية . فكتبت هذه الدول الى محمد علي تُنذره بوجوب اعادة سورية الى السلطان ، فلم يذعن فسيّرت اسطولًا يقلّ جيشاً محارباً بقيادة الكومودور نابيار الانكليزي الى لبنان . فحاصر بيروت التي كان يدافع عنها سليمان باشا ثم احتلت الجيوش المتحالفة جونية في العاشر من ايلول سنة ١٨٤٠ . وكان عدد القوات العثمانية خمسة آلاف وثلاثمائة جندي يقودها والي الدردنيل السر عسكر محمد عزت باشا ، والد عزيز باشا احد ولاة بيروت من نحو اربعين سنة . وكانت القوات المصرية بحسب تعديل بعض المؤرخين ثمانين الف رجل منها خمسة عشر الفاً بقيادة سليمان باشا في بيروت ، وثلاثة آلاف في صيدا ، وخمسة الاف في طرابلس ، وعشرة في بعلبك ، والباقي في كافة انحاء سورية .

وقد اذاع الكومودور نابيار بلاغاً على سكان سورية ولبنان أترجمه عن

كتاب « القسطنطينية ومصر » للمؤلف سيزار ڤيمركاتي (César Vimercatti) وهو:

« ان بريطانية العظمى وروسية وبروسية والنمسة المتحالفة مع الباب العالي قد عزمت على ازالة يد محمد علي الغاصبة عن سورية . وغاية مهمتي هي ان احضكم على خلع هذا النير المكروه .

« ايها السوريون ، اسرعوا الى القيام بواجبكم . لقد صدر خط شريف بوشر تنفيذه في السلطنة العثمانية يكفل لجميع رعايا السلطان حياتهم واموالهم .

« وقد تعهد الباب العالي بواسطة الدول الاربع بتحسين احوالكم لكي تعيشوا في اكثر سعادة واوفر طمأنينة من قبل .

« يا اهالي لبنان الذين اراكم بأم عيني تنوؤون تحت اثقال الشقاء الذي يمكنكم تجنبه . هبوا هبة واحدة وامضوا الى الصوت الذي يعمل على جمع شملكم وعلى اعادة السلام اليكم . ستأتيكم من القسطنطينية مساعدات قريبة مع اسلحة وذخائر حربية . والمراكب المصرية لا تعود من بعد تظهر في شواطئكم لارهاقكم .

« يا جنود السلطان ! . . انتم الذين اكرهتكم الخيانة على هجر اوطانكم وساقتكم الى رمال مصر وسورية المحرقة ان الپادشاه يستحلفكم لتعودوا الى طاعته . اني اعددت بالقرب من المحجر الصحي سفينتين لقبولكم تحت الحماية الاجنبية . واذا قاومتكم عساكر الباشا فالويل لها من غضب اوربة .

« ان سلطانكم يؤكد لكم مع اليمين الصفح عن الماضي مع الوعد بدفع مرتباتكم المتأخرة . هلموا ولا تبطأوا ومن ينضوي من جديد تحت الراية العثمانية تعاد اليه مرتبته وحقوقه .

الامضاء

الكرمودور الامير الاي نايبار »

لم يذع هذا البلاغ في البلاد حتى اخذ الاهلون يهرعون من اعالي الجبال الى جونية لتقديم الطاعة والتسليم للدولة العثمانية . وفي المساء انيرت المرتفعات اللبنانية بانوار الفرح معلنة ابتهاج البلاد بنجاتها من نير المصريين .

وكتب عزت باشا الى ابي سمرا كتاباً يدعوه فيه اليه ، فلبى الطلب وظهر من مخبإه وجاء على رأس مئات من اللبنانيين الى جونيه ، فقابله البر عسكر بمزيد الحفاوة والاعزاز ، وسلّمه اربعة الاف بارودة مع ذخائرها ليوزعها على رجاله ونصّبه شيخاً على كافة انحاء لبنان الشمالية ، وامره باستئناف محاربة المساكر المصرية . فسار الى عيناتا وواقع فيها المصريين ودحرهم ، وطاردهم ايضاً في اواضي اليتونه وجلاهم عنها .

فصل الامير بشير قاسم عمر الكبير من ولاية لبنان ، وتنصيب الامير بشير قاسم ملحم مكانه

بعد ان احتلّت الدول المتحالفة ارض لبنان ، حار الامير بشير في امره ، ولم يدرِ ماذا يفعل أيظلّ موالياً للحكومة المصرية ام يستسلم الى اعدائها ؟ وبينما هو في التفكير كتب اليه الكومندان ستوفور الانكليزي يُغريه بتقديم الطاعة وبالاعتراف بولاية السر عسكر محمد عزت باشا على مصر وسورية ، وبالتسليم للباب العالي مع الوعد ببقاء ولاية الجبل له كما كانت في السابق . وضرب له موعداً لذلك ثمانية ايام . ولما كان الامراء ابناء الامير واحفاده يحاربون في صفوف العساكر المصرية في انحاء متفرقة لم يكن له متسع من الوقت ليعلمهم بالامر ، فابطأ في الجواب على دعوة الكومندان ستوفور . فاصدر السر عسكر في نهاية المهلة المعطاة للامير امراً يخلعه من ولاية الجبل ويتولية الامير بشير قاسم ملحم مكانه . حينئذ اضطر الامير الكبير الى التسليم للانكليز ، فترك بتدين بعد ان عهد الى المشايخ آل حماده في بعقلين ، وكانوا من اخص رجاله ، بحراسة سرايه ودوره فيها ، وجاء صيدا ومنها نقلوه الى بيروت حيث انتظر مجيء اولاده واحفاده . ومنها نقله مركب انكليزي مع كافة افراد عائلته الى مالطه ، ولذا دُعي بالمالطي تمييزاً له من سواه من الامراء الذين يحملون اسم بشير . ثم انتقل منها الى بروسه فالاستانة حيث عاش الى سنة ١٨٥٠ ، ودفن في كنيسة الارمن الكاثوليك .

والامير بشير الكبير تولى الامر في لبنان نيفاً واثنتين وخمسين سنة ملأها من جليل الاعمال وغرّ المآثر ما يخلد ذكره مدى الاجيال ، ويا حبذا فكرة الذين قرروا نقل رفاته الى الوطن وجعل قصر بتدين متحفاً تجمع فيه آثاره وتزينه مفاخره . وان ذكرت البلاد توابغ امرائها كان الامراء فخر الدين المعني ويوسف وبشير الشهابيين اعلاهم قدراً واعظمهم شأناً .

عصابة قتال اللبنانيين للمصريين وعطاردهم الى غزة

ولما تولى الامير بشير ملحم الامارة انضمّ اليه معظم الثائرين وواقعوا المصريين في امكنة كثيرة ، فكان النصر تارة في جانب الثوار وطوراً في جانب المصريين . وكان كثير من اللبنانيين كاولاد الامير بشير واحفاده ، اخصّ منهم بالذكر الامراء خليل ومجيد ومسعود وغيرهم من الامراء الشهابيين واللمعيين والمشايخ من ذوي الاقطاع يناصرون المصريين على الثوار . وقد انشطر الخازنيون الى فئتين : الواحدة وعلى رأسها الشيخ كنعان بان ، والد الشيخين صليبي ورشيد والذي كان متولياً مقاطعات الخازنيين الثلاث ، ظلّت موالية للحكومة المصرية ؛ والثانية وعلى رأسها الشيخ فرنسيس ابي نادر كانت مناوئة لها . ولما جرت المعركة الاخيرة بين الثوار والمصريين في جرد كسروان ، ودّع ابراهيم باشا صديقه الشيخ كنعان بان وداعاً مؤثراً ، وانعم عليه بمال جزيل ، ووهبه صندوقة من خشب الابنوس مصفحة بالحديد البديع الصنعة مع عدة من السلاح الثمين ، ولم يزل حفيده الشيخ بان صليبي الخازن محتفظاً بها كأثر نفيس .

وممن بقي على ولاء المصريين المشايخ آل جنبلاط . ولما غضب ابراهيم باشا على المتنيين وامر بتدمير قراهم ، فبعد ان حُرقت بيت شباب جاءه الشيخان حردان الجميل وفياض عاوان الى المروج حيث كان وقتئذٍ ، وشفعا لديه بقريتهما بكفيا ، فعفا عنها وصينت من الحريق والنهب .

اما الشواطئ البحرية فقد احتلها الحلفاء على التعاقب ففتحوا قلعة جبيل في الثالث عشر من ايلول ، ثم استولوا على البترون . وفي الـ ١٧ منه دخلوا صيدا ، وفي الـ ٢٤ اخذوا صور ، وفي الـ ٢٦ وقعت صيدا في ايديهم .

وفي ١٠ تشرين الثاني جرت معركة دامية في بحرصاف . وكان يقود الجنود العثمانية والحلفاء والثوار عمر باشا النمساوي الذي جعل سنة ١٨٤١ حكمداراً على لبنان ، والجنرال سليم باشا والجنرال جوكس ؛ وكان يقود المصريين ابراهيم باشا نفسه . فانهزم الى قرنايل ومنها الى البقاع ، ولما بلغ حامية بيروت خبر انكساره وفراره استسلمت في الحادي عشر من الشهر المذكور الى الحلفاء .

اما عكا فقد اطلقوا عليها المدافع من البحر ، وبعد حصار بضعة ايام احتلها النمساويون في الثاني من تشرين الثاني. وكان على رأسهم الارشيدوق فريدريك ابن عم الامبراطور فرنسيس يوسف.

وبعد ان تاوأوا الثوار المصريين في انحاء عديدة من البقاع والاراضي السورية، ظلوا مجدين في أثرهم حتى بلغوا مدينة غزة . وهنا كانت آخر وقعة حصلت بين الفريقين المتحاربين . ثم رجع اللبنانيون الى اوطانهم . واما ابراهيم باشا فبقي متابعاً المزعة الى مصر تحدق بجيوشه المخاطر وتحف بها المخاوف في بلاد عقد سكانها الخناصر ، على اختلاف مذاهبهم ، على عداوته . وقد لقي من المحن والشدائد الشيء الكثير ، وفتكت الامراض والاوبئة بجنوده ، وهلك العدد الغفير منهم من نكبات الجوع والبرد والعطش ، وروى بعض المؤرخين ان عدد الضحايا البشرية من المصريين يزيد على عشرين الف رجل.

***

تُرى ما الذي جناه محمد علي من احتلال سورية ؟ لا شيء سوى فقد الرجال وضياع الاموال وخراب الديار ، واحلال الدمار محل العمار.

لقد فشل محمد علي كما فشل معظم قادة الشعوب الذين تسوّل لهم انفسهم وتزين لهم المطامع حب التوسع واكتساح المدن وتدويخ البلدان للتسيطر عليها واخضاعها، فيُغلبون على امرهم، وتخونهم الحظوظ وينكسون على اعقابهم تاركين وراءهم سلاسل من الويلات والارزاء.

واما بلادنا اللبنانية فقد جنت عليها الحملة المصرية جناية لا تُغتفر . ان السياسة المصرية كانت العامل الوحيد في انقسام اللبنانيين على بعضهم ، وفي تأسيس العداوة بين الدروز والمسيحيين . اجل ان التفريق الذي اوجده بينهم ابراهيم باشا ، لما امر بجمع سلاح الدروز وبتسليح المسيحيين ليناصروه عليهم ، كان من وخيم عواقبه توالي الحروب الاهلية بين الطائفتين العزيزتين من سنة ١٨٤١ الى سنة ١٨٦٠ . ولقد أريقت دماء غزيرة ونزلت في الوطن المحبوب نكبات شديدة وبلايا عظيمة وعمّ في الربوع الجنوبية الخراب والدمار . ولكنّ الدول الاوربية وفي مقدمتها فرنسة التي ارسلت عساكرها باسم اوربة

لوضع حدّ لهذه المجازر البشرية ، عقدت اجتماعات عديدة كانت نتيجتها وضع نظام لبنان الذي لقينا بعده الراحة وفزنا بالسلام الى سنة ١٩١٤ .

الآثار الحسنة التي تركتها الحملة المصرية في لبنان وسورية

يجب علينا ، قبل اختتام هذا البحث ، ان نذكر شيئاً صالحاً تركت اثره الحملة المصرية في وطننا العزيز من شأنه ان يلطف مرارة الويلات التي نزلت به ويحملنا على نسيان العداء الذي كان لآبائنا نحو المصريين .

ان ابراهيم باشا قد مهّد السبيل لاطلاق الحرية الدينية باصداره الاوامر المشدّدة بمعاملة المسيحيين كالمسلمين في كافة الحقوق والواجبات . وهو الذي اجاز لهم الارتداء بالملابس التي كان يلبسها المسلمون دون سواهم . فالمسيحيون ، ما خلا الذين يقطنون لبنان ، كان محذوراً عليهم لبس الحرير والاعتمام بالعمائم البيضاء او الخضراء او الحمراء وانتعال الاحذية التي هي من هذه الالوان وركوب الخيل والسير في الطريق الى يمين المسلم خصوصاً في المدن الداخلية البعيدة عن لبنان كحمص وحماه .

كانت البلاد يحكمها ذوو الاقطاع ، فكانوا يستبدون بالشعب كاستبداد جميع الولاة والامراء الذين كانت ارادتهم هي القانون . فابراهيم باشا غرس في امصارنا الروح الديموقراطية بتأليفه مجالس الشورى من افراد الشعب ، ومحاربته روح الفخفخة والعظمة باعطائه المثل الصالح ، اذ كان يظهر بين الناس بمظهر البساطة في لباسه ومعيشته . وقد روى القنصل غيس الفرنساوي في تآليفه ان ابراهيم باشا لما جاء دير القمر نزل في بيت صغير لا يقل عادة في مثله من كان دونه مقاماً . وانه زار ليلةً الامير بشير زيارة غير رسمية لم يرافقه فيها سوى خادم ، فاضطر الامير ان يردّ له الزيارة منفرداً لا يرافقه احد من رجال مهيته .

وفي عهده طرح الامير بشير واولاده العمائم واستبدلوها بالطربوش المغربي ، وهو الطربوش الذي كان يلبسه محمد علي وابراهيم باشا . ولقد ظلّ اللبنانيون يلبسون الطربوش المغربي الى ان أبدل بالطربوش العزيزي اي الاستانبولي الذي صنع خصيصاً للسلطان عبد العزيز ودُعي باسمه . واما الجند اللبناني فانه لم

يترك الطريوش المغربي ليلبس العزيزي الا في اوائل حكومة واصه باشا ، وابع متصرفي جبل لبنان.

ولم يكن المسيحيون يتمتعون بالحقوق الاجتماعية والوطنيـة ، ولا يتقلدون الوظائف العالية وينالون الرتب والقاب الشرف حتى ساواهم ابراهيم باشا في ذلك بالمسلمين.

وقد تساوى المسيحي بالمسلم في كافة المعاملات والتكاليف ، وألغيت جميع الامتيازات التي كان يتمتع بهـا اقارب الولاة وذوو الاقطاع . وهـذه الحرية الدينية التي تمتعت بها بلادنا قد سهلت السبل للاوربيين وخصوصاً للمرسلين منهم الى دخول البلاد وانشاء المدارس في كافة الانحاء ، فكان ذلـك فاتحة عصر جديد لانتشار المدنية والتهذيب.

واما بيروت فهي مدينة للدولة المصرية اكثر من سائر المدن الساحليـة. فبعد ان كانت تابعة ايالة صيدا وعكا ، استقلت بنفسها. واعظم فائدة جنتهـا من حكومة محمد علي هي انشاء المحجر الصحي (الكورنتينا) فيها وبسببـه اكبت السفن الماخرة في مياه هذا القسم من البحر المتوسط على القاء مراسيها في مرفأ هذه المدينة. فكان ذلك فاتحة تقدمها على ما عداها من المدن الفينيقية ، فظلت متابعة السير في طريق النجاح حتى بلغت الى المنزلة العالية . وقد لقبوها في عهد الاتراك بالدرة الغاليـة في تاج آل عثمان ، واصبحت في ظل الانتـداب الافرنسي عاصمة لبنان وبهجته الفتانة.

لقد كان جبل الامن في سوريا مختلًا قبل الحكم المصري وقـد كانت الفوضى تسود في انحائها فلم يكن يمرّ يوم دون ان يسمع النـاس عن وقوع حوادث القتل والسلب وقطع الطرق. فاصلت الحكومة المصرية اهـل الشقاوة حرباً عواناً وما زالت تناجزهم القتال حتى قطعت دابرهم . وكان الاقدمون يروون امامنا خبراً يصعب تصديقه ولكنه في كل حال يؤيد السمعة التي احرزها ابراهيم باشا في حبه للعدل وهو ان امرأة شكت اليه مرة ان احد جنوده ابتاع منها لبناً وابى ان يدفع ثمنه فامر باحضاره امامه ولما مثل بين يديه سأله عن شكوى الامرأة فانكرها. فالتفت الى الامرأة. وقال: اني سأبقر بطن هذا الجندي

فان ظهر فيه اللبن دفعت لك ثمنه وان بان كذبك قتلتك. قال هذا وامر فشق بطن الجندي فاندلعت امعاؤه وسال منها اللبن[1].

ولقد اولت الحكومة المصرية لبنان فضلا عميماً بقبولها بعض شبان في مدرسة القصر العيني الطبية على نفقتها، فعادوا الى وطنهم بعد اتمام دروسهم يخدمونه بكل اخلاص. واني لاذكر من حضرتني اسماؤهم كالدكاترة يوسف منصور مرهج لطيف، وحبيب الخوري غانم واخويه انطون وسليم، وشاكر يوسف الخوري واخيه امين، وسليم منصور الموشي، وغالب الخوري البعقليني، ويوسف بشاره الجلخ، وفارس نجيم، وابراهيم النجار.

ولما وقعت نكبة السنة الستين جاد المصريون بالمساعدات المادية اسعافاً للمنكوبين وتبرع الخديوي سعيد باشا بخمسمائة اردب من الحنطة.

ولما عرفت الحكومة المصرية مزايا اللبنانيين الحسنة فتحت لهم ابوابها على مصراعيها، فانتشروا في كافة انحاء القطر يتاجرون، يفيدون ويستفيدون بعلومهم ومعارفهم وخبرتهم، فأسسوا المجال التجارية الواسعة وانشأوا الجرائد والمجلات الخطيرة كالاهرام والمقطم والمقتطف والاخبار والهلال والبصير وسائر ملحقاتها، وزاولوا التعليم، وانتظموا في دواوين الحكومة فاحرزوا بصدقهم وجدارتهم المراتب العالية. فمهدوا السبيل لتوثيق عرى الولاء بين الشعبين المصري واللبناني.

---

١) تروى هذه القصة عن كثير من امراء الشرق. وقد ذكرها ابن بطوطة في رحلته (١ : ٢٢٧)